بقلم: عدنان بدر

جماعة بوسادس التروتسكية وأمميتها الرابعة

تشهد البلدان الراسمالية في المرحلة الراهنة احتداما متناميا للصراع الطبقي في داخلها ويتجلى هذا الصراع الذي يكشف دخولها طور الانهيار النهائي، في تصاعد الاضرابات العمالية وازدياد حدتها وكثافتها، وفي نمو الاتجاهات اليسارية على الصعيد السياسي كنتيجة طبيعية لاحتدام ذلك الصراع الذي يخلق مناخا ملائما لنشر الفكر الاشتراكي في صفوف الطبقة العاملة والشرائح الطلابية من البرجوازية الصغيرة. ولا شك في ان الوعي السياسي ضمن هذا المناخ لحقيقة المرحلة والعوامل الفاعلة فيها، سيعود ليلعب دورا تقدميا في دفع ذلك النضال الطبقي نحو ابعاد ثورية اكثر تقدما واكثر اتساقا مع متطلبات الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي ومن هنا تتبين اهمية ذلك الوعي من جهة، وخطورة محاولات تسميمه بافكار خاطئة ومضللة من جهة ثانية.

وقبل الدخول في عملية مناقشة مع بعض الافكار المطروحة في اوروبا، لا بد من تقديم مثال رمزي يوضح الدور الهام الذي يمكن ان يلعبه الوعي العلمي لحقيقة المرحلة، والدور الخطر الذي يمكن ان يلعبه التضليل المتستر بستارات يسارية كاذبة. وهذا المثال هو: « الموقف من النضال المطلبي في البلدان الراسمالية »:

حول هذا الموضوع هنالك رايان: الاول يقول بان دعم هذا النضال وتصعيده وتطويره مهمة ثورية، اذ ان تحقيق المطالب الطبقية الجزئية للبروليتاريا او لقطاعات منها، هو اضعاف للراسمالية ولطاقاتها على ممارسة الامبريالية والوقوف في وجه المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر.. كما انه مدرسة تجريبية للعمال يتعلمون فيها اهمية وحدتهم وممارستهم لاساليب النضال الطبقية، ودفعا لهم في طريق المزيد من هذا النضال المتصاعد والقابل مرة بعد مرة لمزيد من التسيس الثوري..

اما الراي الثاني فيقول بان تحقيق بعض المطالب للطبقة العاملة، سيؤدي الى تحسين اوضاعها جزئيا وبالتالي هو رشوة لها وابتعاد بها عن الحال التي تدفعها الى الثورة مرة واحدة كما انه من جهة اخرى لا يتم على حساب الراسمالية، فهذه الراسمالية ستعوض ما تقدمه بحجم اكبر بكثير من خلال قيامها بعمليات استغلال اكبر واكبر للشعوب المتخلفة والمضطهدة والمستعمرة وشبه المستعمرة.

وامام هذين الرايين، كيف يمكن الخروج من مستوى « حزورة » ايهما الراي الصحيح، الى مستوى الفهم العلمي لحقيقة ايهما الراي الصحيح؟. ان الاجابة على هذا السؤال تستدعي تحديد طبيعة العصر بشكل علمي وفهم النضال المطلبي ضمن تلك الطبيعة وكيفية تاثيره ايجابيا او سلبيا.. ومن هنا ياتي تشديد الفكر الثوري على ضرورة فهم طبيعة العصر واهمية الوصول الى تحديد علمي دقيق لها في كل مرحلة من مراحل النضال..

وحتى تتوضح الصورة بشكل اكبر، نعود الى المثال الرمزي السابق وننظر اليه من عصرين مختلفين:

على ابواب وصول الراسمالية الى مرحلة الامبريالية (في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر) كان الصراع الطبقي في البلدان الراسمالية الصناعية قد بلغ درجة من الحدة تجلى في وصف الاستعماري الانكليزي سيسيل رووس لها، ذلك الوصف الدقيق الذي التقطه لينين وثبته في كتابه « الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية ».

يقول سيسيل رووس: « .. ان الفكرة التي اصبو اليها هي حل المسالة الاجتماعية، اعني: لكيما ننقذ ٤٠ مليونا من سكان المملكة المتحدة من حرب اهلية (ثورة) مهلكة، ينبغي علينا نحن الساسة طلاب المستعمرات ان نستولي على اراض جديدة لنرسل اليها فائض السكان ولنقتني ميادين جديدة لتصريف البضائع التي تنتجها المصانع والمناجم، فالامبراطورية، وقد قلت ذلك مرارا وتكرارا، هي مسالة البطون، فاذا كنتم لا تريدون الحرب الاهلية ينبغي عليكم ان تصبحوا امبرياليين ».

في ذلك الوقت، ولما لم تكن الراسمالية (الراسماليات المتقدمة آنذاك) قد استكملت تحولها الى امبريالية عالية، اي لما لم تكن قد استكملت استعمار العالم واستغلاله، فـي ذلك الوقت كان هنالك شيء من المنطق في القول بان التنازلات التي تقدمها الراسمالية لعمال بلدانها، ستؤدي بها الى مضاعفة استعمارها واستغلالها لشعوب البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، كي تعوض ذلك التنازل اضعافا مضاعفة.. وبالفعل دفعت الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة لفترة طويلة ثمنا باهظا من العذابات والجوع والتخلف والاستغلال، لذلك الهبوط المرحلي في حدة الصراع الطبقي ضمن المجتمعات الراسمالية المتقدمة، الذي تم من خلال تحول الراسمالية الى امبريالية..

اما اليوم، وبعد ان تجاوزت الراسمالية مرحلة تحولها الامبريالية، وبدات تواجه التقلص القسري لقدراتها على الاستغلال الخارجي، نتيجة تطور المعسكر الاشتراكي وازدياد قدراته على لعب دور متنامي الحجم في الاقتصاد العالمي، ونتيجة نهوض النضال الاستقلالي والوطني والثوري لدى شعوب العالم المتخلف، فان الامبريالية لم تعد قادرة على زيادة استغلالها الخارجي، بل اكثر من ذلك هي عاجزة فعلا عن وقف تقلص وانحسار ذلك الاستغلال وخير مثال على ذلك كمية الضرائب الجديدة التي تفرضها على شعوبها عند اضطرارها لتقديم اي تنازل امام البلدان المتخلفة، والكل يعي الان حجم ارتفاع اسعار المحروقات في اوروبا، بعد حصول الدول المنتجة للبترول على زيادة في العائدات قبل اشهر قليلة.

بناء على كل ما تقدم يصبح صحيحا القول بان اي حق تنتزعه الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية، لن يكون على حساب الشعوب الاخرى، بل على حساب الطبقة الراسمالية ذاتها وما يشكله من اضعاف لتلك الطبقة يتجاوز في حجمه حجم الحق المنتزع، اذ انه يضعف قدراتها على مواجهة المزاحمة العالمية التي يشكلها لها الاقتصاد الاشتراكي، وعلى مواجهة نضال حركات التحرر السياسي والاقتصادي في العالم الثالث، ومن ثم يضعف قدراتها على مواجهة نضال عمال بلدانها بالذات. هذا بصرف النظر عن الاهمية السياسية والتنظيمية التي يلعبها النضال المطلبي في تكتيل الطبقة العاملة وتسييسها.

هذا الفارق الكبير في النظر الى موضوعة واحدة، من خلال عصرين مختلفين، هو الذي يدفع بالفكر الثوري الى التاكيد على ضرورة فهم طبيعة العصر كمدخل الى فهم اي جزء او ظاهرة من ظواهر ذلك العصر وتحديد دور وحجم ذلك الجزء او تلك الظاهرة في معطيات النضال الثوري، العام والخاص، الاممي والوطني. فكيف يمكن تحديد تلك الطبيعة؟

لا يمكن تحديد طبيعة العصر الا من خلال رؤية القوى الموضوعية الفاعلة فيه على كل صعيد وعلاقات تلك القوى ببعضها.. لان رؤية من هذا النوع، وبقدر ما تكون صحيحة، هي العامل الاول القادر على تنشيط فعل القوى الذاتية. وعليه فتحديد طبيعة العصر هو تحديد القوى الاجتماعية والاقتصادية النامية باضطراد، والقوى الاجتماعية المتراجعة باضطراد والمصطدم استمرار وجودها باستمرار نمو قوى الانتاج. وبتحديد ادق ان معرفة طبيعة عصر ما هي معرفة المنحى الموضوعي الذي تتحرك عليه القوى الصاعدة والقوى الهابطة ضمن المعطيات المادية لذلك العصر..

آ – القوى الصاعدة: في هذا العصر هنالك ثلاث قوى صاعدة:

١ – النظام الاشتراكي الذي تنمو فيه قوى الانتاج وتتقدم باضطراد، دون ان تعيقها علاقات انتاج رجعية، وبالتالي فمسارها التقدمي خال من الازمات الدورية (ازمات فيض الانتاج التي يعرفها النظام الراسمالي) والتي يمكن اعتبارها حوادث الصدام المؤشرة والمعبرة عن احتدام التناقض بين قوى الانتاج وبين علاقات الانتاج.. بين اجتماعية العمل وفردية الملكية.. بين القدرة الانتاجية للمجتمع وبين قدرته الشرائية.. وعلى العكس، نرى ان الانتاج في البلدان الاشتراكية، برغم ما حققته قوى الانتاج من تطور ونمو، لما يوف بعد حاجات المجتمع الاشتراكي الاستهلاكية، وبالتالي فان امام قوى الانتاج هناك آفاقا رحبة لزيادة نموها وزيادة انتاجها دون ان يقف في وجهها اي عائق او كابح تولده علاقات الانتاج.. اذ ان النظام الاشتراكي يحمل في ذاته سوق تصريف تتسع باستمرار لكل زيادة في الانتاج، لان تلك القدرة الاستهلاكية ناجمة عن القدرة الانتاجية ومساوية تقريبا لها من خلال ملكية المجتمع الجماعية لوسائل الانتاج وثمراتها..

٢ – نمو الاقتصاد المحلي في البلدان المتخلفة وانسلاخ اسواق فيها عن شبكة الهيمنة الامبريالية.. فحركات التحرر الاستقلالية التي عبات الجماهير ضد الامبريالية، ما تزال يوما بعد يوم تتعبا بمضمونات اجتماعية واقتصادية تقدمية، ونضالها النامي يشكل عوائق جديدة في وجه محاولات الامبريالية للحفاظ على سيطرتها الاقتصادية، حتى ان قوى جديدة (وسطية) تجد نفسها مضطرة لاتباع برامج تنمية وطنية بالاعتماد على مساعدات المعسكر الاشتراكي، ان لم تكن تلك البرامج (لوجود تلك القوى الوسطية في قمة السلطة) قادرة على ردم هوة التخلف باسلوب ثوري، فهي على الاقل تزيد الصعوبات امام محاولات الامبريالية للتغلغل الى السوق الوطنية لتلك البلدان.

٣ – الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية، حيث عاد الصراع الطبقي ليحتدم من جديد دون ان يكون امام الراسمالية هذه المرة اي مجال خارجي يساعدها على تخفيف حدته المتصاعدة بسرعة وشدة.. وتشير الى هذا الاحتدام كل ظواهر التزايد في اضرابات العمال وحجمها وكثافتها، وذلك الاختلال الكبير في التوازن المؤقت الذي كانت قد تمكنت الراسمالية في المرحلة السابقة من اقامته بين الاجور والاسعار.

ب – القوى الهابطة: وهي قوة واحدة تشمل على عدد من التحالفات ذات الابعاد العالمية والمحلية.. وتلك القوى هي الراسمالية العالمية في ظل ازمة الامبريالية على كل صعيد.. هذه القوة بعد ان استكملت استعمار العالم الثالث في المرحلة الماضية، واستطاعت خلال تلك المرحلة من تطوير انتاجها والوصول به الى حجوم كبيرة، ومن تطوير اساليب العمل والارتقاء بالتكنيك الحديث الى مستوياته الراهنة... بدات تواجه عددا متزايدا من الابواب المغلقة في وجه تصريف ذلك الانتاج، فالسوق العالمية بدات تتقلص بفعل دور المعسكر الاشتراكي المتزايد في تلك السوق، وبفعل النضال من اجل الاستقلال والتحرر السياسي والاقتصادي الذي تخوضه شعوب العالم الثالث وبفعل نضال الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية الذي ينتزع من بين انياب الراسمالية المزيد من الحقوق..

وضمن هذا المناخ يحتدم الصراع الطبقي في البلدان الراسمالية، وينعكس نفسه حتى على التحالفات التي كانت قائمة فيما بين مختلف الكتل، اذ يبدو ان التناقض بين الكتل الراسمالية قد بدا يتغلب على الوحدة ضمن علاقات تلك الكتل ببعضها البعض.. وبدات التناحرات من اجل التصريف بين هذه الكتل تظهر الى العلن باشكال سياسية واقتصادية اكثر وضوحا.. (الموقف من قناة السويس، التناحرات البترولية بكل فروعها بين الشركات الاوروبية والامريكية، بريطانيا والسوق الاوروبية المشتركة.. التحارب السياسي الظاهر والمستور من اجل الصفقات والمشاريع وغيرها كثير..).

اما القوى الرجعية المحلية في البلدان المتخلفة، واحدة في التهاوي بشكل سريع، خاصة بعد ان وضح عجزها، ضمن الوضع العالمي للراسمالية المتقدمة، عن تطوير برجوازيات وطنية مستقلة تنجز مهماتها التطويرية الاقتصادية والسياسية.

هذه باختصار شديد، الصورة الموضوعية العالمية في العصر الراهن، او في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع البشري.. وطبعا يجب ان يضاف اليها ويطرح منها عوامل التنشيط والاعاقة الذاتية التي تفعل بها في العصر نفسه..

عوامل التنشيط الذاتي للقوى الصاعدة تكمن في وعي هذه القوى لدورها الموضوعي واكتشاف كل قوة منها لحقيقة العدو الرئيسي واهمية التحالف فيما بينها وبين القوى الصاعدة الاخرى ضمن برنامج ثوري اممي واضح ينسق العمل بين كل تلك القوى لجعلها اكثر تاثيرا وفعلا واسرع حسما للمعركة بالتالي.. اما عوامل الاعاقة الذاتية لتلك القوى الصاعدة فهي نقيض ذلك الوعي، اي هي في غموض حقيقة العدو الرئيسي امام هذه القوة او تلك وتغليب التناقضات الثانوية فيما بينها على التناقض الرئيسي فيما بينها كلها من جهة وبين القوى الهابطة من جهة اخرى.. وتخلفها بالتالي عن العمل من اجل توضيح صورة المعركة العامة والمعارك الجزئية ومن اجل الوصول الى برنامج مشترك ينشط فعلها كلها على المستويين العالمي والمحلي..

كما يضاف الى ذلك، ما يوجد في كل قوة من تلك القوى من اخطاء وترسبات سلبية* تعيق نموها الثوري كما تعيق عملها من اجل التنسيق فيما بينها وبين القوى الاخرى..

وبحسب من جهة اخرى كعامل اعاقة، وعي الامبريالية للظروف الموضوعية الراهنة وللاوضاع الذاتية والعوامل المعيقة والمنشطة ضمن المعسكر الاخر، وامتلاك تلك الامبريالية للتفوق التكنولوجي والمادي الذي تسخره في عملية استغلالها لتلك الاوضاع الذاتية ومحاولاتها المستمرة من اجل تنشيط العوامل المعيقة وكبح العوامل المنشطة، تلك العملية التي تبدا بالتاثير الثقافي وتنتهي بالتدخل العسكري مرورا بكل انواع التخريب وهي كثيرة..

الا ان الظروف الموضوعية التي شرحناها في البداية، وهي دائما الاساس في التاثير على الوعي، تفعل في ذلك الوعي باتجاه تقدمي، وتميل كفة العوامل الذاتية المنشطة، وضعف كفة العوامل الذاتية المعيقة.. وفي جميع الاحوال يبقى الوعي تابعا للظروف الموضوعية مع جدلية تاثيره فيها.. فهي الاساس في العملية كلها..

والان بعد هذا التحليل وعلى ضوئه ناتي الى فكر احدى المجموعات التروتسكية الناشطة في اوروبا كما هو مطروح في الوثائق التالية الموجودة لدينا والصادرة عن تلك المجموعة المعروفة بمجموعة « بوسادس » الذي هو على ما يبدو في الوثائق منظر الجموعة، اما الوثائق فهي:

١ – العدد الاول من « المجلة الماركسية العربية » الصادر في ٢٠ اوكتوبر ١٩٧٠ عما يسمى « المكتب العربي للسكرتارية العالمية للاممية الرابعة ».

٢ – بيان عن « الفرع الانكليزي في الاممية الرابعة » بعنوان: « ادفعوا الى امام الوحدة بين مصر وليبيا والسودان لبناء اتحاد اشتراكي عربي سوفياتي لجميع الدول العربية على اسس تصميم سوفييت اربد ».

٣ – بيان آخر بعنوان « نداء من المناضلين التروتسكيين العرب في الاممية الرابعة الى الطبقة العربية » وعنوان فرعي « فلتسقط الحلول السلمية. من اجل حرب ثورية لطرد الامبريالية واسرائيل وسحق بقايا الراسمالية والاقطاعية في الدول العربية مستندة على الجماهير والفدائيين والحركة الوطنية الثورية ».

اول ما يستوقف القارىء في هذه الوثائق هو مقولة للرفيق « بوسادس » تتكرر في الوثائق كلها، ويبدو انها اكثر مقولات هذه المجموعة خطا، والاساس الفكري لجميع الاخطاء والانحرافات الاخرى اما المقولة فهي ان « العصر هو عصر الذكاء والعقل » وهنا قبل مناقشة الاخطاء الفكرية والسياسية الاخرى نجد من الضروري الوقوف بعض الوقت وابداء بعض الملاحظات:

■ ليس هنالك في جميع الوثائق المذكورة حيث تتردد هذه المقولة اي شرح لماهية الذكاء والعقل التي يقصدها بوسادس.. ومع ذلك نفترض في احسن الاحوال ان يقصد وعي القوى الصاعدة لدورها، الامر الذي ذكرناه في التحليل واعتبرناه من العوامل الذاتية المنشطة..

وعلى هذا الاساس يكون بين بوسادس والماركسية بعد دونها بعد، اذ يكون بوسادس قد اعتمد على مظهر من مظاهر البناء الفوقي للمجتمع لتحديد طبيعة البناء التحتي، وهذا هو بالضبط دياليكتيك هيجل الواقف على قمة راسه.. ورغم هذا التشابه في الوقوف المقلوب بين بوسادس وهيجل فان هذه المقارنة قد تكون، وهي فعلا قد ظلمت هيجل.. لان تحديد بوسادس لطبيعة العصر على هذا الاساس ليست دخولا الى التحليل الطبقي من الباب الخلفي، بل هي دخول من باب وصل الى اي شيء غير التحليل الطبقي، ستكشف لدى مناقشتنا للاخطاء السياسية التي يقع فيها بوسادس وجماعته، بعضا من تلك الاشياء التي اوصلهم اليها الدخول من هذا الباب.. ومع ذلك نبقى هنا في حدود الملاحظة الاولى المحتسب فيها حسن النية والتي هي ان هذا التحديد البوسادسي لطبيعة العصر خال كل الخلو من اي مضمون طبقي..

■ وبمعزل عن اختلافنا او اتفاقنا في تحديد ماهية « الذكاء والعقل »، ماذا يعني القول عن عصر ما انه « عصر الذكاء والعقل »؟ وماذا يقدم هذا التعريف من تمييز خاص باحد العصور؟ اليست كل العصور بالنسبة الى ما قبلها هي عصور ذكاء وعقل؟. ان اكتشاف النار في زمنه لم يكن اقل اهمية تاريخية من نظرية اينشتاين في زمنها – والذكاء والعقل هما عمليا تعبيران تجريديان عن قابلية الانسان للمعرفة، تلك القابلية المتواجدة في الانسان كارقى اشكال المادة والمتنامية خلال اكتناز التجربة والمعرفة (راجع دور العمل في تحول القرد الى انسان – انجلز) وعليه فهذا الوصف لعصر من العصور هو وصف استمراري، اي ان تلك القابلية للمعرفة عند الناس متطورة باستمرار وليست خاصة بعصر من العصور.. وبالتالي فان الاصرار على القول ان العصر هو عصر الذكاء والعقل، هو تهرب حقيقي من تحديد طبيعة العصر الموضوعية التي تضع في يد الثوري صورة واضحة للامور بشكل لا يعود معه قادرا على القفز وتقديم الاراء والمواقف المتناقضة ما لم يفتضح بشكل جلي تناقض تلك المواقف مع الصورة الموضوعية للقوى الثورية الصاعدة في ذلك العصر..

■ اما الملاحظة الاخرى التي نجد من الضروري ايرادها في هذا المجال، فهي التذكير بحقيقة موضوعية وملموسة.. وهذه الحقيقة هي ان القوى الامبريالية والرجعية في العالم من خلال سيطرتها المادية على التكنيك وعلى وسائل الانتاج هي القوى الاكثر ملكية الان للذكاء والعقل، وهي الان القوى الاكثر استغلالا لذلك الذكاء والعقل في محاولتها لعرقلة فعل القوى الموضوعية الصاعدة التي تهدد بقاء تلك الامبريالية.

وانطلاقا من ان العصر هو « عصر الذكاء والعقل » تحرر هذه الجموعة التروتسكية نفسها من اي استناد طبقي في التحليل والتفكير وتتخذ جملة من المواقف السياسية المعادية لقوى هي موضوعيا على الاقل اساسية في معسكر القوى الصاعدة، معسكر قوى الثورة الاشتراكية، اما كيف تغطي هذه المواقف فباسلوبين: الاول هو الاستمرار في الهرب من التحليل الطبقي، والثاني هو رجم القارىء بكميات كبيرة من الجمل الثورية التي لا معنى حقيقيا لها..

ففي كل صفحة من صفحات هذه الوثائق نجد جملة من الهجمات على المعسكر الاشتراكي، على الاتحاد السوفياتي وعلى الصين الشعبية، وحتى تصبح هذه الهجمات اقل وقاحة تخترع المجموعة تسميات البيروقراطية السوفياتية، والبيروقراطية الصينية، دون ان تعطي اي تحديد او تحليل لماهية البيروقراطية (حاولت ان تعرف البيروقراطية في مقدمة الوثيقة الاولى لكنها قدمت جملة من التناقضات سنعود اليها بعد قليل).

واذا ما بدانا قراءة الوثائق المذكورة، فسنقف حتما امام الوثيقة الاولى التي هي العدد الاول من « المجلة الماركسية العربية » الصادر في ٢٠ اوكتوبر ١٩٧٠، وواضح من الاسم والتاريخ ان اول ما سيتبادر الى ذهن القارىء هو ان هذه النشرة ستتناول حركة التحرر العربي في وضعها الراهن.. لكن الحقيقة عكس ذلك تماما، ففي الوثيقة موضوعان فقط هما حسب العناوين الواردة في الوثيقة:

■ الازمة الحالية في الاحزاب الشيوعية قيادات الدول العمالية، عزيمة جماهير العالم والطليعة الشيوعية العالمية على اسقاط البيروقراطية والراسمالية.

غ. بوسادس

■ اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، التسوية النهائية للحسابات مع الامبريالية، ونمو الثورة الاشتراكية العالمية.

السكرتارية العالمية للاممية الرابعة

اذن « المجلة الماركسية العربية » في عددها الاول والصادر في وقت تعيش فيه حركة التحرر العربي الثورية معارك مصيرية مع الامبريالية والصهيونية والرجعية العميلة، هذه المجلة، انطلاقا من قدرتها على « اكتشاف » الحلقة الرئيسية في النضال تلك القدرة التي يعطيها اياها « تسلحها » بفكر ماركسي علمي، لا تجد ضروريا ان تولي حركة التحرر العربي اي اهتمام.. اذ ان الحلقة الرئيسية هي « اسقاط البيروقراطية (السوفياتية والصينية) والراسمالية » والمهم بالتالي هو تسليح الجماهير العربية آبان معركتها المصيرية « بفكر » سياسي معاد للاتحاد السوفياتي والصين الشعبية... ويلاحظ في هذا السياق ورود البيروقراطية قبل الراسمالية، والاخيرة ترد بخجل شديد، لانها ما تلبث ان تعود للاختفاء من البيان رقم ٢ الذي يتناول في مقدمته احداث ايلول في الاردن قائلا ما يلي بالضبط:

« لقد شهدت الاحداث الاخيرة في الاردن انتصارا رائعا للثورة العربية والثورة الفلسطينية ولقد كان واضحا بان الذي قرر مسيرة الاحداث في الاردن هي الجماهير الاردنية والجماهير الفلسطينية التي فرضت ارادتها من خلال حركة المقاومة رغم مساومات القيادات الوطنية عرفات، ورغم كل محاولات البيروقراطية السوفياتية ورغم انف حسين. كان ذلك بسبب وعي الجماهير بسبب ان عصرنا هذا هو عصر « الذكاء والعقل » كما يصر عليه الرفيق بوسادس، اي العصر الذي يشهد وعي الجماهير العالمي الذي يقرر مسيرة التاريخ، هذه هي القوى التي فرضت ازدواج السلطة في الاردن. ان هذه القوى لم تمارس اي صراع طبقي في المعامل او المصانع لكنها بالرغم من ذلك قد كسبت الحس الطبقي، كسبت اليقين التاريخي للبروليتاريا بسبب وجود ١٦ دولة عمالية التي اعطتها الوعي واليقين لتشييد سوفييت اربد وسط تساقط قنابل التابالم عليها ».

اذن، اثناء احداث ايلول، كانت القوى التي تقف في وجه الجماهير حسب راي جماعة بوسادس، هي البيروقراطية السوفياتية اولا والملك حسين ثانيا، اما الامبريالية والصهيونية وبقية القوى الرجعية العربية فلا نعلم اين كانت تقف، اذ يغفلها البيان اغفالا كاملا.. فلم يرد لها اي ذكر في كل ذلك البيان « الثوري! »

بعد هذه الالتفاتة الى البيان الذي يسقط منه ذكر الامبريالية، نعود الى الوثيقة الاولى التي كنا بصدد قراءتها ومناقشتها، والتي تتمحور كلها حول موضوعة « البيروقراطية في الدول العمالية » و« وجوب اسقاطها ».

ما هي هذه البيروقراطية ومن هي؟ واية طبقة تمثل؟ هذه اسئلة لا يجد بوسادس اية ضرورة للاجابة عنها، لانه كما قلنا ليس من ضرورة في رايه للتحليل والتحديد الطبقي، فالعصر هو عصر « الذكاء والعقل » فليستعمل بوسادس ذكاءه وعقله في التحايل على التحليل الطبقي وتقديم كليشيهات وصفية بدلا عنه:

يقول عن البيروقراطية « ان وظيفة البيروقراطية هي مصادرة البروليتاريا والانتفاع منها. قال تروتسكي بان البيروقراطية ليست طبقة بل فئة، انها ظاهرة جديدة في التاريخ. ان ابسط تعريف لها هو « فئة »، لانها كفئة البراهمين تعيش مسجونة في نفسها وتبث بين صفوفها السلطة وحق الانتفاع والامتيازات، ولهذا السبب تكون فئة. ان هذا التعريف هو ادب تعريف اجتماعي لها، لكنه لا يعبر عن وظيفة البيروقراطية الاجتماعية والسياسية ولا يشير لها، انه تعريف تقريبي لكنه صحيح ».

اذن البيروقراطية فئة:

هذا هو ابسط تعريف لها.

هذا التعريف هو ادب تعريف اجتماعي لها.

تعريف لا يعبر عن وظيفتها الاجتماعية والسياسية، ولا يشير لها.

انه تعريف تقريبي.

لكنه صحيح.

اما كيف استطاع بوسادس ان يعرف تعريفه للبيروقراطية – الذي هو في الاساس ليس تعريفا وانما وصف غير طبقي – بكل هذه التعريفات المتناقضة والمختلفة، وذلك كله ضمن بضعة اسطر، فذلك بالطبع لان العصر هو عصر « الذكاء والعقل ».

ثم اذا تجاوزنا ذلك، وسلمنا جدلا مع بوسادس، بان البيروقراطية هي « فئة تعيش مسجونة في نفسها وتبث بين صفوفها السلطة وحق الانتفاع والامتيازات » فمن اين جاءت هذه الفئة؟ ومن اية طبقة انسلخت؟ وكيف ولدت لها هذه الامتيازات؟ وما هي الالية لذلك الانسلاخ وتلك الامتيازات؟ كل هذه الاسئلة الواجب تحديدها لمعرفة طبيعة « عدو » بهذا الحجم ويلقى كل هذا الاهتمام من الاممية الرابعة لا يجد بوسادس ضرورة في الاجابة عنها، لانها خارج نطاق « الذكاء والعقل » على ما يبدو.

وبعد ان يخرج بوسادس تلك الفئة من اي اطار طبقي، تصبح بين يديه كرة من الشمع يصنع منها ما يشاء، ويقول عنها ما يشاء، فهي في مقالته:

١ – « عندما نحلل البيروقراطية السوفياتية (علما بانه لم يحللها) يجب ان نشير الى ان موقعها في التاريخ يجبرها على ان تكون مضادة للثورة، ولهذا السبب نقول بان طبيعة البيروقراطية الاتية من وظيفتها في المجتمع هي مضادة للثورة ».

٢ – « لقد اغتالت ٦ ملايين فلاح في عصر ستالين وخانت الثورة الاسبانية، وبعد ذلك ولكي تدافع عن نفسها وجب على هذا القطاع من البيروقراطية ان يمنع القطاع الراسمالي من كسب القيادة السياسية في جيكوسلافاكيا. لقد قاموا بذلك في جيكوسلافاكيا لان النمو العالمي للثورة لم يسمح للبيروقراطية بان تخون الثورة »

في الفترة الاولى كان موقع البيروقراطية في التاريخ يجبرها على ان تكون مضادة للثورة.

وفي الفترة الثانية يجبرها النمو العالمي للثورة على ان تكون مضادة للثورة المضادة. فهل النمو العالمي للثورة براي بوسادس هو شيء خارج عن التاريخ؟. ام ان واحدا من هذين الاجبارين اللذين يجزم بوسادس بحتميتهما لم يكن مستندا الى تحليل علمي صحيح يعطيه كل تلك الحتمية؟

٣ – « ان تقدم الثورة العالمية اعطى الجماهير الثقة لتفرض نفسها على البيروقراطية واجبرتها على احترام الثورة. لقد فرضوا انفسهم على البيروقراطية، ولكي تبقى البيروقراطية على نفسها وجب عليها ان تحترم الثورة لكنها في

* يقول انجلز: « ان كل مرحلة اجتماعية تولد في رحم المرحلة السابقة لها وتبقى الى فترة تحمل الكثير من سماتها، والاشتراكية تولد في رحم الراسمالية وتبقى الى فترة تحمل الكثير من سماتها » ولذلك سمى انجلز الاشتراكية العتبة الدنيا من الشيوعية... وما ينطبق على النظام في هذا الصدد ينطبق على الحركات التي تولد في رحم وضع اجتماعي مرفوض فتحمل بعضا من سماته.